

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه محاضرات في الأدب الأندلسي ألقيتها على طلاب شهادة آداب اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة دمشق خلال عدة سنوات .

وما كنت أحسب أنني سأنشرها في كتاب بعد أن تداولها الطلاب وأصبحت في أيديهم ، وبعد أن اتصلت بأوساط المدرسين والأساتذة . ولكن رغبتي في أن تخرج هذه المحاضرات عن جوها التعليمي وتنطلق إلى ميادين الأدباء هي التي دفعتني اليوم إلى نشرها .

وقد حاولت في مطلع هذه المحاضرات أن أدرس الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية لبلاد الأندلس بشكل عام ، وأن أصور حياة الشاعر الأندلسي وبيئته الثقافية بشكل خاص كي لا يبقى عالم الأندلس مغلقاً أمام الطلاب في أثناء دراساتهم لأدبائه وأعلامه .

ولكن هذه الحياة الأندلسية كانت غامضة الجوانب قليلة المصادر ، ولذلك كان من الخير أن أفيض في وصفها بعض الشيء علماً مني بأن تفهم البيئته يجب أن يعيره مؤرخ الأدب أقصى اهتمامه .

ثم أتيت على عرض موجز للأغراض الشعرية الهامة التي طرقها شعراء الأندلس ؛ ووقفت ، بشكل خاص ، عند شعر الطبيعة فأوضحت بواعثه وذكرت خصائصه وأوردت طائفة من المتخجات الشعرية لبعض أعلام شعراء الطبيعة أمثال ابن حمديس وابن خضاعة وغيرهما .

وقد حاولت ، في هذا ، أن أوضح جانباً هاماً من جوانب أدبنا العربي في الأندلس ، وأبين كيف أن هذا الأدب لم يعيش فقط بين جدران القصور وإنما

عاش أيضاً في رحاب الرياض الأندلسية وجاء ثمرة لتلك الطبيعة النديّة التي عرف الشاعر الأندلسي كيف يصف جمالها ويصف ما فيها من حب وهو وطرب ، في كثير من الحذق والفن والأصالة .

وشئت بعدئذ أن أقدم في شخص ابن زيدون مثلاً فذّاً للشاعر الأندلسي ، ولذا جئت على دراسته بروح جديدة تعكس أصالته الأدبية ، وترسم من قريب خصائص الشعر الأندلسي الذي بقي على الرغم من جدّته ينظر إلى الشرق في شوق وهلّة .

وكان عليّ ، بعد هذا ، أن أبين الميزة التي انفرد بها أدب الأندلس عن أدب المشرق؛ ففقت ، لهذه الغاية ، بدراسة « الموشح » هذا الفن المستحدث الذي غذّته طبيعة الأندلس الجميلة ، وجادت به عبقرية العرب الخالدة . وقد تحوّرت واستقصيت ما وسعني التحري والاستقصاء في أثناء دراستي لهذا الفن الجديد ، وحاولت أن أقدم عن « الموشح » بحثاً أزعّم أنني كشفت فيه النقاب عن كثير من التواحي الغامضة التي قلما عني بها الباحثون .

وإني أرجو أن أكون قد أفدت بعملي هذا إخواني الطلاب ، وأسهمت في مدّ خزّانة الأدب الأندلسي بهذا الجهد المتواضع الذي آمل أن يجد الأدباء والنقاد في قراءته والبحث عن هفواته ما يساعد على كشف ما غمض من أدبنا العربي في تلك الديار الأندلسية .

ولا يسعني ، آخر الأمر ، إلا أن أشيد بفضل من سبقني من الأدباء والباحثين الذين عنوا بتراث الأندلس الأدبي ، من عرب ومستشرقين ، والذين كان لدراساتهم التي عدت إليها الأثر الأوفى في تغذية هذه الفصول ومدّها بالأفكار التي هدتني سواء السبيل ، والله من وراء القصد وله الحمد أولاً وآخراً .